

جنتيلي والأصول الفلسفية للفاشية بقلم: جان توسان دوزانتي

أ. ركح عبد العزيز
جامعة سطيف 2

ملخص:

النص عبارة عن ترجمة لمحاضرة ألقاها الفيلسوف الفرنسي ج.ت. دوزانتي في الندوة التي نظمتها جامعة باريس الثامنة- فانسان الفرنسية حول موضوع "الفاشية". ويحاول فيها الكاتب إبراز الجذور الفلسفية لإيديولوجيا النظام الفاشي في إيطاليا ما بين الحربين متناولا بالتحليل أعمال واحد من كبار إيديولوجيي هذا النظام هو الفيلسوف جيوفاني جنتيلي، مبينا أن كتابات هذا الأخير هي عبارة عن عملية تحميل حذقة تتخفى وراء خطاب فلسفي بريء ومعتقد القصد من ورائه إضفاء شرعية على الممارسات الديكتاتورية والتجاوزات الأمنية لسياسة موسوليني الفاشية.

Résumé:

Le texte ci-dessous est une traduction de la conférence professée par le philosophe français J.T Desanti lors du séminaire organisé à l'université Paris 8 - Vincennes sur le thème du fascisme. L'auteur s'y force de montrer le terrain philosophique dans lequel s'est formé le discours politique de l'Italie fasciste en analysant les écrits de l'un des plus éminents idéologues du système totalitaire italien à savoir le philosophe G. Gentile

لم يسبق لي إلى يومنا هذا أن تعاملت مع فكر جنتيلي إلا من خلال كتاباته كمؤرخ للفلسفة. لقد ظللت دائما أكن لأعماله في هذا المجال كل الاحترام. وسنجد اليوم أيضا فائدة كبيرة في قراءة ما نشره حول فكر النهضة، بالمقابل لم يكن لي اهتمام كبير بكتاباته الدوغمائية، التي كانت تبدو لي دائما كشكل ضعيف وفض من أشكال المثالية الفختية ومنه، لمن تناول فيخته، لا تستحق عناء القراءة المنهجية. غير أنه تعين لي مؤخرا الإذعان لهذه القراءة، وأعترف لكم أنني لم أطلع على الأجزاء الثمانية والعشرين التي تشكل مجمل أعماله، بل بعضا منها فقط. ولسوف أرجع بالدرجة الأولى إلى طبعها الأخيرة التي نشرت بعنوان (Genesi e struttura della società)¹ حررت في سنة 1943 ونشرت سنة 1946 بعد وفاة الكاتب. هذا النص يجمع ويعالج مواضيع أخلاقية وسياسية وضعها جانتيلي ابتداء من سنة 1936).

لكم فركت عيناى خلال هذه القراءة لأتبين إن كنت يقظا أم نائما أحلم بوجود شخصية وخطاب كهذين، كيف كان بالإمكان نسج بكل جدية وبأسلوب خطابي أجوف مثل هذا التركيب من التجريدات الفارغة؟ لكن حياة جنتيلي والخصوصية الملموسة لممارسته السياسية والبيداغوجية وضعاني أمام الواقع القاسي. هذا المثالي الصامت والأكاديمي كان أحد منضمي الإضطهاد الذي مارسه المذهب الفاشي ضد شعب بأكمله. إن هذه التجريدات التي تبدو جوفاء ومسلمة (الأنا، الفعل، الدولة... الخ) لم تكن الهيات صالون أدبي. إن ما كان يبدو لي أنا فارغا ووهيا كان قد استقبل، أعيد، أثري على أنه إنتاج مفكر مندمج في هذه اللحظة من تاريخ بلده، الى درجة أنه تأسست حوله أكثر من مدرسة، نوع من الإجماع، من المؤكد أنه إجماع خاص بالفاشين فقط، إلا أنهم وجدوا فيه تبريرا لعنفهم ومسوغا لأنظمتهم الأمنية. إن هذا من الصحة بحيث نجد اليوم بعض الإيطاليين يعانون من التخلص من الحمل الذي وضعه جنتيلي على ثقافة بلدهم، وهم يفكرون، كما يقال، في إعادة تقييمه وإعادة ادماجه في تاريخ لم يعد تاريخ الفاشية.

لقد كانت دهشتي كبيرة عندما قرأت (بعد إلقائي لهذه المحاضرة بوقت قصير) في جريدة كورييري دي لا سيريرا Corriere della serra مقالا ل. ف. ماتيو V.Mathieu يحاول فيه الكاتب أن يجعل من جنتيلي (فيلسوف الفعل philosophe de l'acte) رائدا لأحداث سنة 1968.

إن تصور الفعل مبهم جدا بحيث يمكننا التصرف فيه كيف شئنا. ولكن أن نقوم بهذا التصرف بالضبط، فهذا ما يبدو لي دليلا على الصعوبة الموجودة اليوم في اقتلاع جنتيلي من جوهر الثقافة الإيطالية. وهذا ما يميز هذا الأخير (الذي يمكننا وصفه ابتداء من 1923 كمكفر المذهب الفاشي) عن رجل مثل روزنبرغ² مثلا، الذي كان مفكر النازيين.

لقد كان جنتيلي مندجيا بعمق في تاريخ الفكر الإيطالي. ووصل إلى الفاشية وفق مسار خاص كان يشعر بأنه متجذرا أساسا في ثقافة عصره، والذي اعتقد فيه أقصى درجات تطور كل التاريخ الإيطالي منذ الوحدة الإيطالية (risorgimento)³. وسوف يصبح فاشيا في نفسه وإلى النهاية بشبات وإصرار رجل مافيا. هذا ما يلون بعنف التجريدات الشاحبة التي ضمنها خطابات. رغم أن بدايته لم تكن سيئة. فقد ولد سنة 1875 وكان قد نشر سنة 1899 عملا خصصه لماركس الذي كان يطلق على فلسفته، متبعا في ذلك تقليدا يرجع إلى لابرولا⁴ فلسفة البراكسيس، هذا العمل الذي جلب اهتمام لينين والذي قدم بخصوصه تقييما إيجابيا: "إن الكاتب - يقول لينين - يذكر بعض المظاهر الهامة لجدلية ماركس المادية لا ينتبه إليها عادة الكانتيون والوضعيون."

يبدو لي مفيدا التفكير في المعنى الذي كان يعطيه هذا الشاب الجامعي الإيطالي في نهاية هذا القرن (وايضا معاصره كروتشه (5)) للإهتمام بماركس، لقد كانت هناك طرق متعددة لدراسة الفلسفة والنجاح فيها في إيطاليا في تلك الفترة. فقد كان بالإمكان الاندماج في الفلسفة التقليدية التي كان لها نفوذ في الجامعات والتي كان يتقاسمها التوماويون، الميتافيزيقيون الأفلاطونيون والكانطيون الجدد، فكان الإنتماء اذن إلى مدرسة

مامياني، كانتوني وفورنتينو⁶، وكان الهدف هو العمل، في الإطار الجامعي، على إبقاء الفلسفة الدائمة (la philosophie éternelle). أما من كان مهتما بالعلوم الوضعية، حريصا على إحياء الأفكار القديمة فقد كانت وجهته نحو الوضعيين أتباع سبنسر أكثر من كونت، أي نحو أرديغو! وإذا كان مؤرخا فإنه يتجه نحو فيلاري⁷. لكن التيار الفلسفي النابض حقا بالحياة، والذي تنعقد عليه آمال وأفكار النهضة الإيطالية فهو المسمى التيار النابوليتاني الذي ينتمي إليه سبافنتا⁸، دو سانكتيس⁹ ثم فيما بعد لابيولا. في هذه الفلسفة كان من المفروض أن يتكون بنديتو كروتشه وأيضاً جانتيلي الذي كان في مدينة بيزا تلميذاً ل سبافنتا. لم تعد الفلسفة هنا معتبرة كممارسة بعيدة عن الواقع بل أصبحت في مواجهة الإيديولوجيا البابوية، لقد كانت آلة حرب.

كان ينتظر منها، بعد أن تتحقق، أن تساهم في تجذير المشروع الوطني للشعب الإيطالي، وأن تمنحه التعبير النظري المستقل، في شكل حركة سعوا إلى ربطها في آن معاً بجيوبوتي¹⁰ وهيزل. وفي إطار الهيغلية أعيد تقييم رواد حركة الوحدة الإيطالية ولذلك فقد طرحت أسئلة ثلاث على الساحة الفلسفية: مسألة قيمة التاريخ، مسألة طبيعة الدولة ومسألة الدين منظورا إليه (على طريقة جيوبوتي) كوسيلة لتحقيق الحرية والإستقلال السياسي للشعب الإيطالي، في الإطار الوطني الذي يتطلع إليه.

هذه المواضيع هي في صلب الفلسفة الهيغلية، ولكن أيضاً (خاصة بالنسبة للمسألتين الأولى والثانية) في صميم المادية التاريخية، كذلك عندما نشر لابيولا، بدعوة من كروتشه، محاولته حول التصور المادي للتاريخ في 1895-1896 أصبحت النظريات الماركسية (لفترة من الزمن) بالنسبة لهذين الفيلسوفين الشابين، كروتشه وجنتيلي، الموضوع المفضل للنقاش الفكري.

نعلم أنه إذا أردنا أن نبحث عن امتداد ل لابيولا فإننا سنجدده عند غرامشي¹¹ وليس أبداً عند كروتشه ولا بالأحرى عند جنتيلي. سينفصل كروتشه نهائياً عن الماركسية ابتداءً من 1908. أما جنتيلي (وهذا شعوري على الأقل عند قراءة محاولته سنة 1899) فإنه انفصل عنها منذ أن تناولها.

فقد كان بالفعل يعرف فلسفة ماركس كـ "واحدية مادية (monisme materialiste) تتميز عن كل مذهب آخر مشابه لها في تصور البراكسيس المطبق على المادة."

من هنا فهو يسعى لوضع منطق داخلي من خلاله كان "يجب على الفلسفة حسب رأيه، أن تبقى ودية، غير أن ماركس لم يواصل حتى النهاية، الشيء الذي جعله يقع في تناقضات يصعب نظرياً تجاوزها. إن بداية إعادة البناء هذه هي: مفهوم المادة. ينظر ماركس إلى المادة، كما يرى جنتيلي، ليس فقط كجوهر ثابت (مجموعة من الحتميات الذهنية، بلغة هيغل) ولكن كواقع حركي وفي صيرورة. لا شيء يقال حول هذه النقطة. ونفهم لماذا أشار لينين إلى الفرق بين هذا التأويل (الذي يفضل الأطروحات حول فويرباخ¹²) والتأويلات الوضعية التي تفهم تصور المادة بطريقة الواحديين الماديين في القرن 19. وتعتقد الأمور أكثر عندما يتساءل جنتيلي: "ما معنى ممارسة وأين نجد مبدأ الممارسة؟" يجيب على هذا السؤال: "بأن هذا المبدأ لا يمكن

أن يوجد إلا في الممارسة الملموسة للإنسان ومنه يستنتج بأن حركة المادة يجب أن تكون متأصلة في حركة الإنسان، وعليه سيكون في استطاعة المذهب الماركسي أن يعيد التفكير في ذاته داخل فينومينولوجيا الروح بعد أن تكون قد اختزلت في أشكال للحياة والوعي. الأمر الذي يسمح بضمان شرعية المادية التاريخية. غير أن ماركس لم يكن وفيًا لهذا المنطق. فقد صحح في لحظة ما مطلعية المادة فنتج عنه تناقض عسير التجاوز. إذ أنه إذا كانت المادة موجودة في استقلال عن كل حركة إنسانية فإنها لا يمكن أن تكون إلا جامدة. إذن، إما أن نضع البراكسيس كأساس ونلغي الوجود المستقل للمادة وإما أن نسلم بهذا الوجود، ولكن لن يكون هنا كبراكسيس.

يمكننا التساؤل عن أصل مثل هذا التأويل. إنه يبنى على افتراض من طبيعة أنطولوجية: هذا الافتراض يقوم على أن وحدة الوعي والفعل وحدها تستطيع أن تشكل الأساس الملموس للتكفل بكيونة الأشياء. نقول إذن أن جنتيلي لا يرى في الماركسية (و خصوصاً في الأطروحات حول فويرباخ) إلا ما كان ينتظر بداية أن يجده فيها، وما سينكشف له ما من شأنه قابل للتأصيل في مشروعه الفلسفي. فبالكاد كان يسمع جمل البيان¹³ الشهيرة: "كل التاريخ ليس إلا تاريخ الصراع الطبقي." "يا عمال العالم اتحدوا."

كان كل هذا في نظره هامشياً. ذلك أنه بالنسبة له، كما هو شأن كروتشه ولكن بدرجة أقل، تبقى الفلسفة بالدرجة الأولى قضية وعي وطني. وعلى المشروع الفلسفي أن يجد سبيلاً لتحقيق إيطالي خاص في إطار إجماع وطني ينبغي إيجاده فوق الطبقات، وذلك بدمج الخصوصيات داخل شكل من الوعي الموحد. ليس غريباً إذن أن يفضل جنتيلي في قراءته للأطروحات حول فويرباخ ما يمكن أن نسميه اللحظة النظرية (moment théorique)، اللحظة الموحدة في الظاهر أين يتحدد الإنسان، بما هو ذات مجسدة في وظيفته الأنطولوجية والمكونة، كمنتج للتاريخ والمعرفة. إنها قراءة بلا خطر على النظام الاجتماعي، ولكنها تعزز الدور الذي ينيط به المثقف ذاته: استشراف مستقبل الأمة، إرشاد المواطين نحو الطريق الذي يقود إلى هذا الشعور الموحد بالانتماء، في كنف الدولة، إلى الشعب نفسه.

من المؤكد أننا لسنا بعد بصدد الفاشية، ولكن لنقل أرضيتها الأخلاقية. من المهم أن ندرك أن التوجهات التي ارتسمت، نهاية هذا القرن، انطلاقاً من هذه الأرضية ظلت دائماً مترددة. لكن ربع قرن بعد ذلك تمت اللعب. فقد أصبح جنتيلي فاشياً تماماً ابتداء من سنة 1923. في سنة 1929 في مجموعة من المقالات بعنوان المذهب الفاشي وأصوله، يصف هذا الأخير بأنه نهضة جديدة وفيه لروح مازيني¹⁴ وجيوبوتي. كما كان يرى في الدولة والإيديولوجيا الفاشية لحظة انتصار للشعب الإيطالي لشكل ومحتوى الوعي بالذات، لحظة تحقق الوحدة التي لطالما بحث عنها، هو ذاته، فبين الفلسفة والدين والسياسة، ظل هدفه منذ البداية هو الفاشية.

لقد سبق وأن قلنا أن "بداية جنتيلي لم تكن سيئة" ولكن كثيرين غيره لم تكن بدايتهم سيئة، بمن فيهم موسوليني ذاته. غير أن تجربة الحرب، ثورة أكتوبر، اشتداد الصراع الطبقي في إيطاليا، عجل بانقشاع الغيوم فوجد كل واحد من المثقفين نفسه مجبرا على اختيار معسكره.

سأقرأ إذن، عبر التحديدات التي أنتجها جنتيلي، عملية التجميل النظري للممارسة الفاشية، هذا ما يهمني إظهاره الآن وذلك بتتبع خيط كتابه الأخير "تكوين وبنية المجتمع".

لا تشكل نقطة البداية أي خطر فهي مجرد تذكير بالأطروحات الجوهرية "للفعلية". Actualisme¹⁵. نقرأ ونقول في أنفسنا: "ها هو ذا إنسان يريد (و هو شأنه في النهاية) أن يعيد مغامرة فيخته الفلسفية (فيخته مهيغلا). في مركز هذه الفلسفة جدلية الأنا كفعل. فعل يعني تركيب أصلي، هوية المتقابلين (ذات، موضوع). أنقل: "اغتراب الذات في الموضوع الذي هو غيرها، ومنه عودة الذات إلى ذاتها. وبهذه الطريقة أكون أنا ذاتي، أكون إنسانا، الكائن الوحيد القادر على أن يقول "أنا". كتب هذا سنة 1943 (التفكير فيه كان قبل هذا بكثير) وهو ليس سيئا بل يدعو للضحك. لكن لا نعمل بالضحك. فعن طريق سلسلة من الإنتقالات ستفضي نقطة البداية هذه إلى عملية تجميل منهجية للممارسة الفاشية للترهيب.

الإنتقال الأول: من الأنا- الفعل إلى الفرد. إذا كان صحيحا أن الذات هي وحدة الذات والموضوع فإن الفرد لا يمكن أن يقال عنه أنه موجود إلا في اللحظة التي يتعرف فيها على ذاته بما هو كذلك، بأن يضطلع بالمطلق وبنهاية الذات.

ليس الفرد أبدا موضوعا، إنه دائما ذات. (بمعنى أنه دائما ذاتا بغض النظر عن الحتميات الحاضرة).

ممتاز؟ لا سوء بوجه خاص في هذا. إنها استعادة "للحركات الجدلية" الجدد مستعملة.

و لكن بأي ذات يتعلق الأمر؟

في هذه النقطة سيظهر انتقال ثان للفرد نحو الاجتماعية. سنعيد على الفرد جدلية الأنا (في شكلها). إن الفرد هو ذات متوسطة. تماما كما هو الأنا وحدة الذات والموضوع، فكذلك الفرد هو وحدة الذات والآخر، إنه يحمل في ذاته اجتماعية الكلي في حركة تربطه بالذات وتحققه كذات. فالجتمع إذن ليس مكونا من أفراد أحرار، إنه بصفة جوهرية (متعالية، كان سيقول جنتيلي) حاضر في كل شخص، وكل شخص ليس هو ذاته إلا بما هو حضور الجميع فيه. وهكذا يزول كل اختلاف وتندمج كل مصلحة فردية. إن الجماعة محايطة للفرد وتشكل قانونه. ويرى جنتيلي في هذه المحايطة ما يسميه صوت الجميع vox populi أي صوت الله vox dei. وهنا لا يجب أن نضحك لأنه سوف يشرح: "كل إيطالي بناء على هذا، يريد أن يكون هكذا، سيتكلم نيابة عن كل الإيطاليين، والشخص نيابة عن كل الناس، الأب نيابة عن كل الأباء، الابن نيابة عن كل الابناء، المقاتل نيابة عن كل المقاتلين، الخ... وكل واحد نيابة عن الجميع". أعجب من احتراسه في الترقيم ومن اللفظ المحتشم "الخ"... سأترك لكم عناء إكمالها، بذكر شخصيات أقل شرفا، تكون الجماعة محايطة لهم هم أيضا...

هنا يكمن الإنتقال الحاسم، والذي نصل من خلاله إلى عملية تجميل وتطهير للفاشية في ممارساتها الأكثر وحشية". فأن يكون المجتمع "متعاليا"، أن يكون كما يقول جنتيلي في داخل الإنسان (ininteriore homine) باقيا بكليته في رابطة جدلية للأنا والآخر، للغيري Alter والهوي Ipse، فهذا ما يضع المجتمع في جوهره، كفعل نظري متحانس ومؤسس لذاته. منذ هذه اللحظة لن يكون للفوارق الإجتماعية، وللكينونة الفعلية والتاريخية للمجتمع، إلا حقيقة أمبريقية منحنطة.

من الإجتماعية المتعالية إلى الدولة الملك (l'état roi) (و هذا هو الإنتقال الأخير) لا توجد إلا مسافة صغيرة. معيدين فعليا جدلية الأنا (دائما في شكلها). إن الحركة التي من خلالها يثبت كل فرد ذاته، يريد، يستمر، يرغب، الخ، هي ذاتها التي بواسطتها تتشكل الجماعة المتعالية فيها. هذه الإرادة التي يثبتها الفرد كما لو كانت إرادته، هي في حقيقتها إرادة كلية، أي إرادة الجماعة، إنها الإرادة التي يسميها جنتيلي الدولة.

بهذا المفهوم، الذي يتوجّب علينا التوقف عنده، يظهر الإنتقال الأخير، وعملية تجميل الفاشية الإيطالية. لنلاحظ أولا، (و قد أشار غرامشي إلى هذا في 32p, passato et presente¹⁶) أنه بتلاشي الفوارق في محايثة الدولة (التي هي ملك وروح معا) يتلاشى كذلك التفريق بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي. وبناء عليه تبدو أجهزة الحكومة كمشارك جوهرية للدولة. ومن ثم على أنها تحقق وحدة الإرادة الفردية والإرادة الجماعية. هكذا تكون سلطة الدولة هي الحضور الدائم لهذه الإرادة، وبدون أية واسطة غيرها، في كل نقطة من الجسم الإجتماعي. يعبر غرامشي عن ذلك إذ يقول: "يصبح إذن من المتعذر التمييز بين السيطرة Hégémonie والديكتاتورية".

في هذه الحالة تعتبر الصراعات الطبقية، والصراعات النقيابية، بل وجود النقابات ذاتها كمظاهر لإخلال الجسم الإجتماعي، يستوجب على النظام أن يحاربها لأنها غير طبيعية (من حيث أنها تشكل نفيا لوحدة الإرادة الكلية والإرادة الفردية).

وحدها الدولة قادرة على تحقيق كل ما يريد الفرد أن يكونه، وحدها الدولة حرة، وحدها الدولة أخلاقية. وتشكل إرادتها الجوهر الأخلاقي للمجتمع. في مثل هذه الشروط فإن كل جمعية تحقق مصالح تحالفية (حتى وإن قامت على التقسيم الفعلي للعمل) لا يمكن إلا أن تهدد وحدة الجسم الاجتماعي، مادامت غير مندمجة في هذه الوحدة، ولا تعبر في اختلافها عن الإرادة الموحدة للدولة. إن النقابة العمالية تقوم على تصور ذري (و مادي، يضيف جنتيلي) للمجتمع، هذا الأخير معتبرا كاجتماع عرضي للأفراد، الذين هم أ أفراد معنويون، أو من النقابات التي هي مجرد تجريدات خالصة. تجريدات تقود، يضيف جنتيلي (ص 66): "إلى حرب الكل ضد الكل". وحدها النقيابية الفاشية قادرة على دمج المجتمع المدني في الدولة الذي هو مادتها، كما أنها تشكل في وحدة نسقية وروحانية اللحظات الضرورية لتقسيم العمل.

ولكن لنذهب أبعد من هذا. فعلى مستوى تصور الدولة هذا سنكرر (دائما في شكلها) الجدلية ذاتها (المميزة للفعلية الجنتيلية). إن محايثة الدولة كإرادة مطلقة لا تشكل طبيعة ثابتة ودائمة.

هذه الإرادة ذاتها، في محايثتها، تنقسم. وتتأسس الدولة إذن، فوق ممارساتها، كفكرة، كتمثال. وتتمظهر بين الدولة المحسدة وفكرتها المتعالية هوة وتوتر. في هذه الهوة تحيا الدولة وتصنع تاريخا، نقدا ذاتيا (نعم!) وثورة (بالطبع!). ثورة غريبة، بواسطتها يترقى، يثرى ويتقوى الوعي بالذات للجماعة خطوة بخطوة مثل "قطرة الماء التي تستنفذ الصخر" كما يقول جنتيلي. لنترجم: لن يكون هناك ثورة إلا استبدادية، ذلك أنه لا إرادة خارج الدولة. لن تكون هناك ثورة إلا محافظة بعمق (في الإطار الفاشي بالطبع). إن القوانين الدستورية مؤقتة غير أن النظام الفاشي الذي يقرها، والذي يعبر عن الجوهر الروحي للرابطة الاجتماعية، فسيبقى دائما حقيقتها. بهذا المعنى يكون التاريخ الحقيقي كاستمرارية للإرادة الاجتماعية في ذاتها.

توشك عملية التحميل على الإنتهاء. إن ما تريده الدولة أريده أنا ذاتي وأتعرف في ذاتي على أنني أريده، فإن مارس عليّ (أو على غيري) هذا العنف الذي يخنقني، فعنما، لأنه عنف مقدس. إنه الروح ذاته الذي يتكشف هنا كفعل، ينقسم، ويعاد في أبدية وفي داخل الإنسان. في داخل الإنسان كما قال جنتيلي، ويجب حمل هذا محمل الجد، فهو يعني أن لا شيء مما أستطيع - أنا، الفرد - التفكير فيه، معرفته أو رغبته، يكون خارج إرادة الدولة. (أي أن يفلت خارج الكلية المكونة والبا طنية للرابطة الاجتماعية).

وبالأخص ما أسميه ثقافتى، وثقافة غيري... لن يكون لها وجود فعلي إلا مندجحة ومعاد إنتاجها في إطار هذا المصير الجماعي (هذا ما يسمى توتاليتارية). غير انه بحركة جدلية أخيرة يمتص جنتيلي ويهضم الكلية، فهي، كما يقول لا تتفل كسلطة خارجية، إنها، بالنسبة للفرد، إرادته الخاصة. إنها كيمياء مفاهيمية مذهلة! (و جد مضحكة): "الأنا معاد إلى ذاته، بعد أن اغترب في الموضوع". شكلت هذه الجملة غير المؤذية (و جد المضحكة) قالبا لسلسلة من الإنتقالات.

في آخر حلقة تظهر الدولة الفاشية (تاريخية، مؤقتة، نعلم ذلك، وواقعية أيضا) ليس فقط في عيني جنتيلي ولكن في أعين كثير من الممثلين الإيطاليين أيضا على أنها حقيقة (بالمعنى الهيجلي) كل التاريخ الإيطالي، على أنها الحل الجدلي لمازق المجتمع الليبرالي.

هوامش:

* - جيوفاني جنتيلي Giovanni Gentile (1875-1944) فيلسوف إيطالي وأحد كبار مؤرخي الفلسفة في أوروبا. تعتبر فلسفته التي يطلق عليها اسم "الفعلية" actualisme "شكلا من أشكال المثالية التي تأخذ جذورها من فلسفة ديكرت، كانط، هيغل وأيضا فلاسفة عصر النهضة الإيطاليين فيليسيو، فيكو وكامبانيلا. تقلد جنتيلي منصب وزير التعليم العام (1922-1924) في ظل الحكم الفاشي لإيطاليا، وكان أحد إيديولوجي هذا النظام البارزين. من مؤلفاته الرئيسية كتاب "فلسفة ماركس" الذي هاجم فيه الماركسية وكتاب "أصلاح الجدل الهيجلي". (المترجم)

** - النص عبارة عن محاضرة ألقاها الفيلسوف الفرنسي جان توسان دوزانتي في الندوة التي نظمتها جامعة باريس الثامنة - فانسان الفرنسية حول موضوع "الفاشية والفاشية الجديدة" خلال الموسم الدراسي 1974 - 1975. ويشكل في الوقت ذاته الفصل الخامس من كتاب:

1. Séminaire de Maria-A. Macciocchi / Elements pour une analyse du fascisme . 127- pp. 115 . Paris. 1976. 18/Coll.10

*** - Jean Toussaint Desanti (1914 - 2002) فيلسوف فرنسي.

1- "تكوين وبنية المجتمع".

2- Alfred Rosenberg (1893 - 1946) . سياسي ألماني وأحد منظري النازية، طور في كتابه "أسطورة القرن العشرين" نظرية عرقية تقوم على "حقيقة الدم النازي" التحق بالحزب النازي بعد لقائه بهيتلر في 1919. شغل منصب وزير الأراضي المحتلة الشرقية خلال الحرب. حكم عليه بالإعدام في نورمبرغ. (المترجم)

3- تعني الكلمة "Risorgimento" في اللغة الإيطالية "النهضة" ولكنها تستعمل أكثر للتعبير عن مجمل المسار السياسي والعسكري والدبلوماسي الذي نشأت، نتيجة له، المملكة الإيطالية الموحدة سنة 1861. (المترجم)

4- Antonio Labriola (1843 - 1904). من أوائل الفلاسفة الإيطاليين الذين اعتنقوا الماركسية، أثر كثيرا في انطونيو غرامشي خاصة من خلال كتابه "بحث المفهوم المادي للتاريخ". (المترجم)

5- Benedito Croce (1866 - 1952). فيلسوف ومؤرخ إيطالي اعتنق الماركسية بتأثير من لابريولا، ثم تحول عنها إلى المثالية الميغيلية، اشتهرت فلسفته بفلسفة الروح. كان خصما للفاشية. (المترجم)

9- Francesco De Sanctis (1811 - 1883). أديب ورجل سياسة إيطالي، أثرت نظرياته حول الفن في عدد من المفكرين الإيطاليين مثل كروتشه الذي نشر بعض أعماله. (المترجم)

11- Antonio Gramsci (1891 - .) من المؤسسين البارزين للحزب الشيوعي الإيطالي ومنظر ماركسي مشهور، كانت معارضته للديكتاتورية الفاشية سببا في توقيفه وسجنه سنة 1926. له كتاب "رسائل من السجن" الذي طور فيه تصور للماركسية باعتبارها فلسفة البراكسيس. (المترجم)

12- "Les thèses sur Feuerbach" كتاب لكارل ماركس نشره إنجلز سنة 1888 كملحق لكتاب "لودفيغ فويرباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية" وفيه يحلل ماركس الفهم العلمي للممارسة انطلاقا من تصور مادي للتاريخ يقوم على أن الحياة الاجتماعية عملية في الأساس، وأن الإنسان نتاج عمله هو، وأنه في جوهره اجتماعي بطبعه. (المترجم)

13- "Le manifeste du parti communiste" أولى الوثائق التي كتبها ماركس وإنجلز ونشر في سنة 1848 وفيه يثبت المؤلفان أن التاريخ هو تاريخ الصراع الطبقي وأن سقوط الرأسمالية حتمي، كما أوضحا فيه دور الطبقة العاملة ومهمة الحزب الشيوعي والهدف المباشر للشيوعية، وينتهي البيان بالشعار المعروف "يا عمال العالم اتحدوا". (المترجم)

14- Giuseppe Mazzini (1805 - 2). وطني وثوري إيطالي ناضل من أجل الوحدة الإيطالية، أسس سنة 1931 حركة إيطاليا الفتاة (Giovine Italia) التي تحدف إلى توحيد إيطاليا وإقامة نظام جمهوري ديمقراطي. يعتبر لنشاطه هذا، من أبرز رموز القرن التاسع عشر في إيطاليا. (المترجم)

15- "Actualisme" الفعلية. تعني في نظر جنتيلي أنه يمكن اختزال كل الواقع إلى مجرد أفعال خالصة للروح، وأنه لا يوجد ما هو أكثر فعالية من فعل التفكير ذاته. (المترجم)

16- "الماضي